# الأسطورة، المعتقد والمرأة الحامل

**سامية ابرير**

مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ibri.samia@gmail.com

**تاريخ الإيداع:** 2019/12/17 **تاريخ المراجعة:** 2022/02/06 **تاريخ القبول:** 2022/02/09

**ملخص**

*تستدعي الخصوبة والأنوثة في المخيال الشعبي الجزائري وقفة للتأمل والتحليل، فبين الرموز والدلالات وبين أسطورة الخصوبة والعقم تعيش المرأة في عالمها الخاص تتخبط في تمثلات نسجها عنها المجتمع مع شيء من الهيمنة الذكورية كامنة في عنصر المعتقد الذي يمثل مرجعها الفكري ومرجع المجتمع الذي تنتمي اليه، نهدف في هذه الدراسة إلى إبراز العلاقة بين المعتقد والأسطورة بالإضافة إلى عرض بعض المعتقدات المتعلقة بالمرأة، وقد تبين من خلال البحث الميداني أن المعتقد كامن في المخيال الاجتماعي الثقافي وهو كثيف لما يتعلق الأمر بالمرأة في منطقة تلمسان، لا يزال المعتقد كذلك يؤدي وظائفه لتخفيف ضغط الأزمات وتحقيق توازن في نفس الإنسان وفي مجتمعه.*

***الكلمات المفاتيح: معتقد، أسطورة، مرأة، تلمسان، مخيال.***

## *Myth, belief and pregnant women*

***Abstract***

*Fertility and womanhood in the popular Algerian imagination call for a stand to meditate then analyze what a creature is. Between symbols and signs, legend of fertility and sterility. ,he woman lives in her own world ,wandering in representations woven by society with a bit of male domination latent in the element of belief that represents , her intellectual reference and the one of the community she belongs to. The aim of this study is to highlight the relation between belief and legend and show some beliefs related to women. It has been shown through field research that the belief is latent in the sociocultural imagination and it is dense for women in Tlemcen.*

***Key words: Blief, legend, women, Tlemcen, imaginary.***

## *Croyance, légende et femme enceinte*

***Résumé***

*Le sujet de la fertilité et la féminité dans l'imaginaire algérien nécessite aujourd'hui un temps de réflexion et un état des lieux sur ce qui existe sur le terrain. Car entre les symboles et les significations cachés, et entre les légendes de la fertilité et de la stérilité, la femme se perd dans son propre monde, dans des représentations et des croyances tissées par la société, imprégnées par une domination masculine. Cette étude a pour but de mettre en évidence la relation entre les croyances et les légendes dans la fertilité de la femme, à travers une étude de terrain sur l'imaginaire dans la région de Tlemcen.*

***Mots-clés: Croyance, légende, femme, Tlemcen, imaginaire.***

**المؤلف المرسل:** سامية ابرير، ibrir.samia@gmail.com

**مقدمـــــة**

لا تزال بعض المجتمعات تحذوا حذو أسلافها باتباعها نمط اعتقاد معين، فالمخيال الاجتماعي الثقافي المتوارث يضرب بجذوره إلى أعماق قناعاتنا كل هذا يمكن تلخيصه في كلمة المعتقد، هذا الأخير هو ما نؤمن به بأنه صواب وحقيقة فتتوجه سلوكاتنا بما يتوافق مع مضمونه، ومجتمعنا لا يزال لم يتموقع بعد بين الحداثة وتقدم العلوم وبين المعتقدات الشعبية، فهو مجتمع يؤمن بالحداثة ويؤمن في نفس الوقت بالمعتقدات الشعبية حيث لا يمكن للقطيعة أن تكون بين الماضي والحاضر ولكن يحدث التغيير تدريجيا، وعلى سبيل المثال نجد الشخص إذا ما واجهته عوائق معينة يلجأ لحلها إلى الحلول العلمية وفي نفس الوقت إلى الحلول التقليدية، ففي حال تعذر الحمل مثلا تزور المرأة الطبيبة المختصة في أمراض النساء وتذهب ايضا لزيارة العجوز المدلكة أو لزيارة ضريح ولي صالح، اهتم بدراسة هذا الجانب الباحث الانثروبولوجي مالك شبل حيث يقول: "إن ما يثير اهتمامنا ليس الجسد في تكوينه العضوي الظاهري، بل بالعكس ما يهمنا هو ذلك التمثل representation المكون حوله، فيصبح الجسم المكون اجتماعيا وثقافيا بذلك، نقطة مرجعية للعلاقات التفاعلية بين الفرد وجماعته المرجعية وبين الوسط الثقافي"[(1)]، وعليه انطلقنا في بحثنا من التساؤل الآتي: ما هي العلاقة الكامنة بين الاسطورة والمعتقد والمرأة؟ وهل المعتقدات لا تزال إلى حد الآن تؤثر على توجهاتنا وسلوكاتنا؟

الهدف من دراستنا هاته إبراز أهمية المعتقد ووظيفته، إضافة إلى عرض بعض المعتقدات القديمة التي لها علاقة بالمرأة والطفل، والتي لا تزال قائمة إلى حد الآن ومتداولة، فالملاحظ أن المرأة حظيت بالقدر الأوفر من المعتقدات والرموز من الرجل، كما سنقدم بعض المعطيات التي جمعناها من البحث الميداني بمنطقة تلمسان، معتمدين في تحليلنا على المنهج الوصفي التحليلي.

**1- الأسطورة كنموذج مثالي:**

تعتبر الأسطورة حكاية حدث مقدس وجد في بداية الزمن، يعرفها مرسيا الياد فيقول: "إن رواية تاريخ مقدس تعادل كشف أسطورة، لأن شخصيات الأسطورة ليست كائنات بشرية إنها إلهة أو أبطال محضرة.... فالأسطورة إذن هي التاريخ لما سبق حصوله في الزمن الأول، وقصة ما فعلته الآلهة أو الكائنات الإلهية في بدء الزمن، القول اسطورة هو إعلان لما جرى منذ الأصل. وما أن تقال مرة، أي تكشف، حتى تصبح الأسطورة حقيقة قاطعة: إنها تؤسس الحقيقة المطلقة"[(2)].

يمكن أن نعرف الأسطورة كقصة (خلق) لأنها تفصح عن ظهور حدث تاريخي وقع في بداية الكون، وهي غالبا تسرد حقيقة ظهور أمر غير اعتيادي، فعلى سبيل المثال يعتبر النشاط الزراعي عملا مقدسا ذا مدلول، إذ تحرث الأرض وتزرع لاستثمارها بهدف توفير الغذاء والرزق، والأرض ترمز للأم التي تبذل ما لديها في سبيل طفلها، وهذا يعني أن العمل الزراعي له رمزيته المقدسة، يرجع السبب إلى ما فعله الأجداد وروته عنهم الأساطير فهم بذلك أسسوا للأسطورة وكونوا الرمزية فغرست في المخيال وجسدت في الواقع عن طريق السلوك الطقسي وتم تناقلها عبر الاجيال، وما يمكن قوله إن الأسطورة والرمز يساهمان بشكل أو بآخر في الحفاظ على توازن الحياة، والابتعاد عن النموذج الأسطوري للانغماس في ما هو دنياوي يجعل الإنسان يبتعد عن ما هو مقدس[(3)].

يعاد إحياء الأساطير غالبا أثناء المواسم الطقوسية والاحتفالات الدينية بالخصوص، حيث تذكر الروايات الأسطورية وحتى من دون ذكرها فإن الأذهان تستحضرها تلقائيا، فكل طقس هو مرتبط بأسطورة تروي حدثا وقع والأسطورة والطقس مرتبطان لأن الأولى تسرد قصة يجسدها الإنسان من خلال الطقس.

**2- المرأة، والأرض، والخصب والأسطورة:**

إن التمثل والمعتقد الموجودان في المخيال الاجتماعي والثقافي لبعض الشعوب يوطد كل من الشبه والعلاقة بين المرأة والأرض، وكان خصوبة المرأة وإنجابها مستمد من الأرض فهو يحاكي خصوبة الأرض واستثمارها مثلما تخصب المرأة، إذ يسود اعتقاد ينص على أن خصوبة المرأة مستمد من خصوبة الارض حيث يقول مرسيا الياد في هذا الصدد: "المرأة إذن متضامنة صوفيا مع الأرض، وتمثل الولادة عملا متفرغا على المقياس البشري من الخصب الارضي، فلكل التجارب الدينية ذات العلاقة مع الخصب والولادة بنية كونية. وترتبط قداسة المرأة بقداسة الارض، وللخصب النسوي نموذج كوني هو نموذج الأرض الأم المولدة الشاملة"[4].

ترتبط معظم الأساطير والطقوس الخاصة بالأرض بموضوع الخصوبة والولادة والرفاه، جوهر الفكرة الدينية المقدسة مرتبطة بخلق الحياة وهو في معناه المبسط سر الولادة لكل شيء وأن كان من العدم، لذلك ينظر الإنسان إلى الخصوبة والولادة على أنها بداية الحياة وظهورها فهي سر وجود الكون والبشرية واستمراريتهما. تبرز الكتب السماوية المقدسة الشبه الموجودة بين المرأة والأرض، حيث نقتبس من كتاب المقدس والمدنس لمارسيا الياد هاته الفقرة التي تبين هذا الشبه: " فقد رأينا أن الزواج قد قيم كزواج مختلط HIEROGAMIE بين السماء والأرض. إلا أن تمثيل الأرض، المرأة، لدى الزراع هو أيضا أكثر تعقيدا. فقد شبهت المرأة بحقل GLEBF ومثل المعنى الرجولي بالبذور، والعمل الزراعي بالقران الزوجي. "هذه المرأة أتت كأرض حية: ازرعوا فيها، البذر أيها الرجال": هذا ما كتب في الاتهار فافيدا (14– 5– 24)، "النساء حرث لكم": القران 2–225[5].

يبدو أن المنطق الذي يجعل الفرد يتشبث بالأسطورة والطقوس وإن كانت تبدو لنا حاليا أنها حرفت هو المنطق ذاته الذي كان موجودا في بداية الحياة البشرية، قد تختلف الممارسات ولكن الفكرة الأساسية هي نفسها، فالاحتفالات التي ترتب لها العائلات عند ولادة مولود جديد في العائلة ترمز إلى الاستمرارية وغنى العائلة من حيث ضمان نسلها، والأهم هو شعور المرأة بأوج قوتها رمزيا فخصوبتها وقدرتها على الإنجاب تشعرها بكمالها كامرأه وأهميتها في ضمان النسل، ناهيك عن المكانة الاجتماعية التي ستنتقل إليها في العائلة وفي المجتمع من زوجة إلى أم، مثلها مثل الارض الخصبة التي تغني من يعتني بها ويزرعها.

**3- الأنوثة، والأمومة، الخصب والأسطورة:**

يغلب في الأساطير القديمة معتقد أن المرأة مشؤومة وغير طاهرة، فهي المرأة التي تغوي أعظم الرجال فتطيح بهم والتي تمارس السحر والشعوذة وهي المدنسة بدم الحيض ودم النفاس... الخ، لكن في نفس الوقت هذه المرأة المنبوذة هي منبع النسل والتكاثر، وهكذا نلاحظ أن المرأة لا تزال إلى حد الآن تحمل في نفس الوقت رمز القوة كونها الولود الودود ورمز الضعف في حال ما لم تستطع الإنجاب، ترمز المرأة إلى الجمال والحنان ولكن بالأخص إلى الخصوبة، هذه الأخيرة لها أهميتها في الاساطير القديمة. ربطت الخصوبة بعدة أمور كالماء والأرض مثلا، فلطالما ارتبطت الأمومة برمزية الأرض وبرمزية الماء الذي من دونه لا تنبت الأرض، حيث تتعدد الأساطير التي تروي عن آلهة المياه والجنيات العذراوات سيدات بعض الينابيع والبرك، ويفرق مارسيا الياد بين أمومة الأرض وأمومة الماء، فإذا كانت الأرض تعتبر البداية والنهاية لكل حياة، فإن الماء يسبق الأرض لأنها من تعطيها الحياة. هناك عادة تسطح المرأة أثناء ولادتها على الأرض، وهي عادة منتشرة جدا في الصين والقوقاز وعند قبائل الماوري وفي افريقيا والهند والبرازيل والباراغواي، وعرفت أيضا عند اليونان والرومان قديما، هذه العادات هي خير دليل على انتشار الاعتقاد بأمومة الأرض وارتباط المرأة وتشبهها بها.

تتشابك الأنوثة برموزها مع المحرمات والخطيئة، لأن المرأة غالبا ما يرمز اليها في المخيال الاجتماعي والثقافي في كل المجتمعات منذ القدم بتمثلات متناقضة تجتمع فيها فهي الجمال والمدنس فهي المقدس بتشبهها بالأرض الخصبة وفي نفس الوقت تمثل المدنس كونها رمز الإغراء، يرتبط أيضا بشكل ديناميكي كل من الماء والفجوة والأنوثة والخصب والظلام والرطوبة والأرض ترتبط ببعضها لتدور حول نسق الاحتواء، وكأنها صورة تسرد ما يدور في رحم المراة وفي جوف الأرض والدلالات هنا هي دلالات أمومية محضة.

**4-المعتقد والمعتقد الشعبي:**

المعتقد في مدلوله الاصطلاحي هو التصديق الجازم بأمر معين، والإيمان والدين هما أسمى درجات المعتقد حتى أن الدين يوازيه كمفرد العقيدة، وللمعتقد سلطة وقوة من الصعب مقاومتها كما له شروط أولها التسليم الكلي به، حتى أنه من المعتقدات من كان لها القدرة على تغيير مجتمعات كثيرة[6]. يروج استعمال من الناحية الاجتماعية عبارة المعتقدات البدائية التي تقوم على الأسطورة والخرافة والسحر[7]، حيث توصل الباحثون الذين حللوا معتقدات الحقب البدائية إلى أن تلك المجتمعات أوجدت لنفسها نسقا من المعتقدات المسلم بها لتنظيم حياتها اليومية أي أن المعتقد يقوم بوظيفة تنظيمية، إذا ما لاحظنا المجتمعات الحديثة سنجد أنه مهما بلغ تحضرها إلا أن المعتقدات لا تزال موجودة لم يتغير منها إلا المضمون، أما المجتمعات التقليدية فلا تزال تحتفظ بالكثير من معتقداتها التقليدية مثل السحر والأسطورة التي تؤسس للممارسات الطقوسية وللتقاليد.

تختلف المعتقدات الشعبية من مجتمع لآخر، بل تختلف أحيانا في المجتمع نفسه من جماعة لأخرى، هذه المعتقدات مدسوسة بعمق في المخيال الاجتماعي الثقافي للجماعة لذلك نجدها متمكنة من توجيه السلوك بمقتضى محتواها، الكثير منا يتجه للظن بأن المعتقدات الشعبية تطغى في الأوساط الريفية وتقل كل ما اتجهنا نحو الاوساط الحضرية، كما أنها متفشية بقوة في الطبقات الأمية أكثر منه في الطبقات المتعلمة[8]، والسبب يكمن في درجة العلم الذي يعلو في المجتمعات الحضارية فالتفكير المنطقي العلمي المبني على البرهان يحول دون الإيمان بالمعتقدات المبنية على الأسطورة. إن هذا التفكير الذي يتبعه حكم والذي يمثل معتقدا في حد ذاته فيه من الصواب نسبة وفيه من الخطأ نسبة أيضا، فالمعتقدات الشعبية متواجدة في شتى أرجاء أقطار العالم ولكن بدرجات متفاوتة في كل الأوساط وبين كل الطبقات، يكفي أن نذكر خوف الكثير من الأفراد من الجمعة 13 في الدول الغربية والمتطورة تكنولوجيا.

**5- الجسد والمعتقد الشعبي:**

تحكم علاقة المرأة بجسدها معتقدات شعبية تتمظهر على مدى دورة الحياة، فلكل مرحلة معتقدات معينة، ولعل أهم الفترات في حياة المرأة هي الفترة بين الخطوبة ثم الزواج والإنجاب، لأنها في هذه المرحلة تعير اهتماما بالغا لجسد المرأة، "ليست النظرة إلى الجسد مجرد نظرة فردية، بل هي نظرة عامة تتبناها الثقافة وتشيعها في الناس بحيث يكون للمجتمع ككل نظرة موحدة للجسد بصرف النظر عن اختلاف ظروف الأفراد"[9]. لعل من بين أهم المعتقدات الشعبية المتصلة بجسد المرأة الزواج وبالأخص الزواج المبكر، لأن الفتاة التي تتزوج في سن مبكرة لها أكثر قيمة من الفتاة التي تتزوج في سن متأخرة والسبب يرجع إلى الجسد، فالتمثلات الكامنة والمكونة للمعتقدات الشعبية المكونة هي الأخرى للمخيال الشعبي تربط الزواج المبكر للفتاة بإمكانياتها الجسمية، فهي أكثر نعومة وجمالا وتحملا من الفتاة المتقدمة في السن، والأهم هو أن قدرتها على الإنجاب تكون أكثر احتمالا فالخصوبة ترتبط بسن المرأة[10].

ومن بين اكثر المعتقدات الشعبية المهمة موضوع الخصوبة، فجسم المرأة في المجتمع يرمز إلى إعادة الإنتاج بالإنجاب والإرضاع، فالمرأة التي لا يمكنها الإنجاب وكأنها تصبح عالة على العائلة لأنها لا تنتج فهي إذا لا تضمن استمرارية نسلهم، وينظر إلى جسمها وكأن به خللا، حتى أن أبعاد الجسد لها دلالاتها فالمرأة الممتلئة يعتقد أنها أكثر قدرة على الإنجاب، "وامتلاء الجسم يزيد من قيمة العروس الجمالية لأنه رمز للخير والعز وجودة الصحة.. وتلك أمور إذا توافرت في العروس. فإن الزوج يضمن أما قوية تتحمل عبء الأولاد وتربيتهم، كما تتحمل أيضا القيام بأعمال (البيت)"[(11)].

غالبا ما يماثل بين الخصوبة والأرض ولعل هذا التماثل متعلق بالإنتاج، فالملاحظ في مجتمعنا أنه بعد انقضاء شهر من الزواج تبدأ التساؤلات تطرح حول حمل العروس الجديدة، فإذا تتالت أشهر دون أن يحدث حمل يلاحظ لدى كلتا عائلتي الزوجين بعض من القلق خوفا من خطر العقم وتقلق الزوجة أكثر لأن عدم حملها يزعزع مكانتها وقد تصبح عرضة للطلاق، وكان من السائد قديما أن ينسب العقم للمرأة وليس للرجل فلا يجب الإنقاص من رجولته لان المعتقد الشعبي يؤكد على أن الرجل كامل الرجولة لا عيب فيه.

ترتبط العلاجات بالمعتقدات ارتباطا وثيقا، اذ تلجأ النساء لمحاولة الإنجاب لعلاجات من وحي المعتقدات الشعبية، تترجم المعتقدات على شكل طقوس، من بين الممارسات الكثيرة التي تقوم بها المرأة لكي تحمل أو مضاعفة إمكانية الحمل نجد مثلا: أن تخطو فوق سلحفاة، وهو تقريبا ما تقوم به النسوة في مدينة قسنطينة حسب مخبرة قسنطينية، إذ عليهن لمعالجة السحر أو تأخر الإنجاب الذهاب إلى ولي حيث يوجد حوض به ماء وتراق فيه دم سلحفاة، ثم تدخل فيه المرأة المعنية وتبقى في الحوض فترة زمنية معينة.

**6- بعض المعتقدات:**

من خلال بحث ميداني دام من سنة 2017 الى غاية 2018 وبواسطة المقابلة والاستمارة اللتين كانتا أداتين جمع المعلومات، استطعنا الإلمام بمعطيات سنحاول عرض بعضها في ما يلي:

- **الوحم:** هي الفترة الأولى من الحمل والتي تكون غالبا منهكة للمرأة بسبب الأعراض الكثيرة التي تنهكها من غثيان ودوار وقيء واشتهاء للمأكولات، والاعتقاد السائد في المجتمع والذي غالبا ما يوجه سلوكات أفراده عن وحم المرأة يحث على تلبية طلباتها وتوفير ما تشتهيه حتى لا يتأذى الجنين، فإن اشتهت الحامل أكلا ومنع عنها ثم حكت في منطقة معينة من جسمها يعتقد أنه يصور على جلد الجنين نفس الشكل التي تم اشتهاؤه فيمكن أن يشوهه، وذهب البعض للظن بأن المرأة في هذه الفترة تتدلل بحملها فتطلب كل ما تشتهيه بحجة خوف الأب والأهل على الجنين، لكن إحدى المبحوثات والتي تزاول الطب أكدت لنا أن جسم الجنين أثناء تكونه في هذه الفترة يحتاج إلى مختلف الفيتامينات فيأخذها من جسم امه ولكن إن لم يجد ما يحتاجه يلجأ الجسم إلى حيل معينة اويمكن القول ميكانيزمات خاصة مثل الاشتهاء، فمن الحوامل من تشتهي أكل التراب ولحس المعادن، والسبب هو وجود فيتامينات بها لها توجد في الاكل المتوفر مثل انواع المغنيزيوم المختلفة: b1, b2, b6, b12.
- **النظر إلى ما هو جميل:** كما يسود اعتقاد آخر حول التأمل في الوجوه الجميلة أثناء الحمل يعزز احتمال ولادة طفل جميل والعكس صحيح، حيث لاحظت الباحثة البريطانية وينفريد بلكمان Winfried S. Blackman في دراسة قامت بها في منطقة الصعيد في مصر أن الفلاحات أثناء حملهن يعلقن صورا لأشخاص تعرف بالجمال لإنجاب أطفال ذوي منظر حسن[(12)]، تكون في فترة الحمل حساسية الأم زائدة عن ما هو طبيعي فتشم ما لا يشمه الآخرون وتتقزز من ما لا ينفر منه الآخرون، وعليه يتعذر على المرآة النظر إلى ما هو غير جميل، كما تخاف

كل من الحامل وأهلها من أن ترزق بمولود مشوه أو ذميم المنظر لذلك تنصح بأن تبتعد عن التأمل في ما هو غير جميل.

- **الخوف من تأذي المولود من الجن:** يحبذ عدم نشر ملابس المولود خارجا في فترة ما بعد أذان المغرب والليل وذلك مخافة أن تؤذيه الشياطين والجان من الغيرة والحسد ويقال في اللغة الدارجة للإشارة إليهم (المومنيين)، فإن هؤلاء المخلوقات وجودها مسلم به في المغرب العربي ككل وتهابها البشر لأنها لا ترى ولها قوة تفوق قدرتهم وعليه من الأفضل تفاديها وعدم استفزازها، والمولود الجديد هو مخلوق جميل طاهر وبريء وأكثر حساسية من الأشخاص البالغين لذلك يعتقد أن ملابسه كذلك يمكن أن تتأذى بفعل الجن فيصبح كثير البكاء ويقل نعاسه .

- **تكهن جنس المولود الموالي:** إذا وضع الطفل رجلا على الأخرى فذلك يعني أن المولود الذي يليه سيكون ذكرا، وإذا ولد مع شريان قريب من الجلد ظاهر بين عينيه يعتقد أيضا أن المولود الموالي ذكر، وهذا الاعتقاد ربما نشأ نتيجة أهمية إنجاب الذكر فبعد ما تلد المرأة سرعان يبدأ البعض في ملاحظة أية علامة على المولود للتكهن ما إذا ستلد بعده ذكرا أم لا.

- **التقميط والدهن بزيت الزيتون:** يدهن المولود بزيت الزيتون كل يوم تقريبا ويلبس ثوبا أو ثوبين داخليين مع الحفاظ ثم يلف في قطعة قماش بيضاء وتحكم وتثبت بلفافة طويلة تلوى على جسده وتسمى (القماطة) وهي عادة متوارثة لكنها بدأت الآن بالتلاشي، تقوم هذه الممارسة على الاعتقاد السائد بأن (القماطة) تحمي المولود من أن يجرح نفسه بأظافره فهو يتحرك بعشوائية فلا يستيقظ إذا كان نائما، كما أنها تساعد في تسوية أطراف المولود بشكل قائم بعد أن كان في شكل جنيني منطوي في بطن أمه ويقال (تسرحله الڤوايم) أي تسوي أطرافه، أما زيت الزيتون فهنا نرجع إلى أسطورة الأرض والشجرة المباركة والتي هي شجرة الزيتون.

- **الليل:** هو مرض يعرف في الأوساط التقليدية يصيب الأطفال الرضع في سنتهم الأولى وعلاج طبيب الأطفال لن يجدي فيه نفعا، يعرف بأعراضه التالية: بكاء الطفل المستمر، عدم قدرته على النوم، ضعف الشهية، يعتقد ان هذا المرض يصيب الطفل إذا أخرجته أمه ليلا وغسلت ملابسه وعلقتها خارجا بعد أذان المغرب. يعالج هذا المرض شخص يقال عنه باللغة الدارجة: "يحكم فالليل" أي أن له القدرة لشفائه وهي بركة تمرر عبر الأجيال من الأب لابنه، حيث يقوم بقراءة آيات من القران وهو يلف خيطا من الصوف البني الغامق مع قليل من القطران فيجعله على شكل عقد، يطلب من الأم أن تضعه لمولودها حول عنقه وأن لا تحمم مولودها لثلاثة أيام متتالية، ولا يتقاضى عن ذلك إلا أجرا زهيدا حسب قدرة الأم المادية ويكون بين 100دج و200دج، أكدت الكثير من الأمهات المبحوثات نجاح هذا العلاج مع أولادهن إذ لاحظن تغيرا واضحا.

- **المشاهرة:** والعرض الأساسي هو نقص الشهية وفقدان الوزن وتعالج من طرف امرأة غالبا ما تكون مسنة، هي الأخرى أما ورثت القدرة على علاج هذا الداء من أمها أو جدتها او مررت لها أم زوجها أو إحدى قريباتها هذه القدرة ويقال باللهجة التلمسانية "فوتتلي براكتها" اي مررت لي بركاتها العلاجية. سبب هذا النوع من الأمراض دخول امرأة تكون لا تزال في فترة النفاس على امرأة اخرى وضعت حديثا لزيارتها، وهذا أمر يعتبر في الكثير من مناطق تلمسان غير مرغوب لأنه يسبب المشاهرة للرضيع المولود حديثا.

- **خوه:** أما هذا المرض فله تفسير طبي وهو ابتلاع الطفل لما كان لا يزال جنينا في بطن أمه كمية كبيرة من السائل الامنيوتي الذي يحميه في الرحم، في بعض العيادات الخاصة عند الولادة تقوم طبيبة الاطفال أو الممرضة التي تعني بالمولود الحديث بإدخال اصبعها عميقا في حلق المولود حتى يخرج ذلك السائل، ولكن في

المستشفيات العمومية لا تطبق هاته العملية إلا نادرا، فيصاب المولود بنوبات وكانه يغرق ولا يستطيع الرضاعة ويتقيء كثيرا ويوصي طبيب الأطفال لما يشخص المرض باستشفاء الرضيع لإخراج السائل، لكن الكثيرين من لهن في عائلتهن من يؤمنن بهذا الاعتقاد أي خوه يوصين الأمهات بأخذ وليدهن عند المعالجة (تحكم فالخو) أي لديهن هذه القدرة والبركة في علاج المرض، حيث تقمن هؤلاء المعالجات وقد أصبحن قليلات إن لم نقل نادرات، تقمن بوضع ريشة في الماء المغلي وتتركها لتبرد وتدخلها بعيدا في حلق الرضيع عدة مرات بعد ان تبسملن، فيقوم الرضيع بإخراج ذلك السائل ولكل واحدة منهن طريقتها في إخراجه، وبالطبع كل الأمهات اللواتي عالجن أبناءَهن بهذه الطريقة التقليدية يقلن إنها ناجحة.

- **الملح:** الملح في المجتمع الجزائري معروف بقدرته على طرد العين الحاسدة والأرواح الشريرة من الجن والشياطين وبالأخص في منطقة تلمسان، يقول حافظ الأسود: "إن ظاهرة رش الملح في طقس سحري بغرض دفع العين الشريرة لا يعد في حد ذاته رمزا، فقد يعتبر معتقدا أو عادة لكن استخدام الملح بالذات وليس أية مادة أخرى بديلة هو الذي يجعل الطقس أو الشعيرة يتضمن فعلا رمزيا، فالملح كمادة أو عنصر طبيعي تتحدد قيمته كعنصر غذائي"، لكنه يكتسب الخاصية الرمزية في مضمون يتعدى معناه المباشر[13]، إن الرمز ينقل من نطاق العالم المجرد وإلى نظيره المحسوس والملموس، فالرمز هو حامل لمعنى وتصور معين.

تقوم غالبا في منطقة تلمسان أمهات الوالدات الجديدات أو أمهات أزواجهن بوضع الملح في قطعة قماش وغلقها ووضع واحدة تحت وسادة المولود وأخرى تحت وسادة أمه، فالنفساء حديثا في اعتقادهم تجلب العين وتخلق الغيرة والحسد في أعين ونفوس الزائرين، فهي محط الأنظار والملح سيبعد عنها وعن وليدها أذاهم. وفي دراسات علمية فيزيائية حديثة وجدوا أن كل جسم سواء أكان بشرا أو نباتا أو مادة ينتج طاقة من حوله تكون إيجابية أو سلبية، ووجدوا أيضا أن الملح يعمل على إزالة صدى وترددات هذه الطاقة التي تخرج منها، كما أن هناك طقوسا أخرى يعتقد بنجاعتها في إبعاد الجن والشيطان فبعض العائلات تضع بجانب الملح تحت فراش المولود مصحفا والبعض الاخر يضع سكينا أو يضع الاثنين معا.

- **زيارة الاضرحة:** إن موضوع الأولياء الذين يتم تقديسهم في العالم الإسلامي هو موضوع يضرب بجذوره إلى حقب زمنية قديمة، ويجدر الذكر أن الممارسات الطقوسية للزوايا لا تزال بعضها محجوبة عن الدراسة وما يعرف منها هو ما تم رصده عند المترددين على هاته الزوايا، حيث إن الباحث لا يمكنه حضور هذه الطقوس نظرا لرفض القائمين على الزوايا إعلان هكذا ممارسات فهي تقام في جو مهيب وليس على العلن، لا يحضر فيها إلا القائم على الزاوية الذي وكلت له مهمة القيام بالطقوس والشخص المستفيد منها وهي حالة زاوية سيدي يوسف. يعرف الأولياء الصالحون بالكرامات والتي في المعتقد الشعبي هي قدرات مباركة فالولي له مكانة خاصة عند الله، وللتقرب من الله بغية تحقيق حاجة ما يجب زيارة ولي، لكن المعروف أيضا أن كل ولي صالح له كرامة معينة فمنهم من له كرامة علاج السحر والشعوذة، ومنهم من هو معروف بكرامة علاج العقم ومنهم من هو معروف بتسريع الزواج والإخصاب، والبعض معروف بقدرته على حماية المرأة من فقدان جنينها.

تضم زيارة زاوية سيدي يوسف عدة طقوس منها طقوس تقوم بها الزائرة لوحدها كشرب الماء من الضريح وإشعال الشموع والطواف سبع مرات مع الدعاء والتوسل جهرا من خلال وضع اليدين والمسح على الضريح وتقبيله ولمس أركان الزاوية، يجب اتباع تسلسل زمني في ممارسة الطقوس، حيث تكون البداية بطلب بركة سيدي يوسف لتطهير المرأة التي تطلب العلاج من الحسد والعين والشعوذة والمس، لأن أعراض الحمل في المعتقد الشعبي

التلمساني من تعب ونعاس وكذلك العقم والإجهاض، هي أعراض تتم ترجمتها كمس أو عين وحسد لذلك يجب ان يتم تطهير جسم المرأة من هذه الطاقة السلبية، ولا ينبغي لنا أن ننسى أهمية الأضحية فكل امرأة ترغب في العلاج عليها أن تقدم أضحية كما تقدم نقودا لمن يعتني بالضريح.

- **طقس الكسكاس أو الغربال:** الكسكاس: هو المصطلح الذي يطلق في اللهجة العامية على إحدى الأواني المطبخية المسماة في اللغة العربية (مصفاة)، وهو آنية مصنوعة من النحاس أو الألمنيوم في قاعدتها مجموعة من الثقوب تستعمل لتقطير الخضر والفواكه أو للطهي على البخار، أما الغربال فهو اسم باللهجة العامة (الدارجة) يطلق على إحدى الأواني المنزلية التقليدية، يستعمل لتصفية الطحين وصناعة الكسكس بالطرق التقليدية، وهو آنية دائرية الشكل، محيطها من خشب وقاعدتها بها ثقوب كثيرة إما صغيرة أو كبيرة، ويسمى باللغة الفرنسية le tamis.

تلجأ المراة الحامل في شهرها الأخير من الحمل إلى هذا الطقس، لما تقترب الولادة ولكن في حالة ما إذا كان الجنين في وضعية مقلوبة أو ما يسمى باللغة الطبية في وضعية جلوس position siege، أي يكون رأس الجنين فوق على عكس وضعية الولادة حيث يكون رأس الجنين أسفل. من الجانب الطبي تخضع المراة الحامل إلى عملية قيصرية لإخراج الجنين في هذه الحالة، لذلك ولتفادي العملية القيصرية تلجأ بعض النساء خاصة في المناطق الريفية وباقتراح من بعض النسوة في العائلة مثل الأم أو الخالة أو أم الزوج إلى عرض حالتهن على من لديهن خبرة في هذا الشأن، فمن تقوم بقلب الجنين هن نساء متقدمات في السن لهن خبرة في الأمر وعادة ما يكن مدلكات أيضا، وعددهن قليل جدا حسب أقوال المبحوثات بل إنهن نادرات، ففي مدينة سبدو بالناحية الجنوبية الغربية لمدينة تلمسان تقول مبحوثة إن الطقس تقوم به المرأة المدلكة باستعمال الكسكاس، وتتمثل العملية في وضع هذا الأخير على بطن المرأة الحاملة بعد تدليكه جيدا بزيت الزيتون في اتجاه دائري ثم يتم وضع الكسكاس وتحريكه بنفس الاتجاه الدائري ليصبح رأس الجنين أسفل البطن جاهزا لوضعية الخروج وتفادي بذلك العملية القيصرية، لكن هذه الممارسة فيها خطورة على الجنين فأي حركة في غير محلها من شأنها أن تضر به.

- **الحمام:** إن الحرارة أمر مهم لدى النساء حيث تعتقدن وبقوة أن رحم المراة لابد من المحافظة عليه منذ ولادة البنت، وذلك بعدم تعريضه للبرودة وتيارات الهواء مخافة أن يبرد الرحم الأمر الذي سينعكس على خصوبة الفتاة وقبل ذلك سيسبب لها ألما موجعا أثناء الحيض، وعليه تنصح النساء بالحمام منذ بداية الشهر التاسع اعتقادا منهن أن الحرارة المتوفرة في الحمامات التقليدية تسمح بتوسيع عنق الرحم وتخفيف ألم الولادة، حتى أن بعض المبحوثات أدلين أن الأطباء نصحوهن بالتردد على الحمامات التقليدية عند اقتراب الولادة.

- **الدعاء:** يعتقد أن المرأة الحامل وخاصة في فترة المخاض دعاؤها مستجاب، إذ إنها في حال توفيت أثناء الولادة فهي بمثابة الشهيد عند الله، هذا الاعتقاد الذي أصبح شائعا أعطى للمرأة الحامل مكانة خاصة حيث تطلب منها النسوة أن تدعو لهن، فمنهن من تطلب الدعاء لها بالزواج العاجل، والأخرى بكسب وظيفة وغيرهن بأمور مختلفة كل حسب حاجتها.

من جملة المعطيات المذكورة يمكن القول إن المخيال الجماعي الشعبي لا يزال يؤثر وبقوة على سلوكاتنا، وبالأخص المرأة كونها تعيش مواقف حساسة ويلزمها أن تشغل أدوارا كثيرة في نفس الوقت، وبالتالي فتوقعات الدور منها والانتظارات هي الأخرى كثيرة، وبالتالي نفسيا تحتاج المرأة إلى مرجع تستند إليه لتفريغ الشحن ومشاعر الإحباط والخوف وفي نفس الوقت إلى مصدر للأمل، والمخيال الجماعي الغني بالمعتقدات الاسطورية

المشفرة والمترجمة على شكل طقوسي يبدو أنه المرجع الأنسب، ناهيك عن أنه يشغل المساحة الأكبر في ثقافتها. تؤثر الثقافة والمعايير الاجتماعية على السلوك الإنجابي فالعلاقة الموجودة بينها هي علاقة تأثير وتأثر، لا يرتبط الارتفاع الديمغرافي بالخصوبة والعوامل البيولوجية فحسب بل يرتبط أيضا بالسلوك الإنجابي، هذا الأخير تؤثر فيه عدة عوامل اجتماعية وثقافية وبطبيعة المجتمع وعلاقته مع العادات والتقاليد وأنساق القيم والاتجاهات، فالموروث الثقافي المكون للمخيال الاجتماعي والمحدد للمعتقد له علاقة بالسلوك الإنجابي، وبالتالي يعتمد هذا الأخير بمكونات الثقافة التي يغرسها المجتمع في أعضائه من خلال التنشئة الاجتماعية وتوقعات الدور المنتظر منهم.

لا يمكننا أن ننكر حقيقة حضور الممارسات الطقسية بقوة في الحياة الاجتماعية والمناسبات الاحتفالية التي تبرز من خلالها تلك الطقوس، هذه الأخيرة هي عبارة عن تعبئة اجتماعية وتجييش الوعي الجماعي واللاشعور الجمعي بمعاني، إذ تشبع الممارسات الطقوسية حاجات معينة لأنها وجدت للقيام بوظائف هدفها إشباع هذه الحاجات، كما أنها توظف وتستعمل كوسائل رمزية لتكوين سلطة وبالتالي مكانة اجتماعية un statut social بطريقة متخفية وراء المقدس والعرف أي ما هو متعارف عليه، فتصبح لديها مصداقية شرعية une légitimité لأنها تعزز أشكال التمايز في المجتمع.

**خاتمـــة**

ما يمكن استنتاجه هو أن الممارسات الطقوسية تبقى دائما مرتبطة بسلم التمثلات ومبنية على قوة المعتقد الذي يحمله مجتمع معين، فالمرأة التي تذهب بحثا عن العلاج في الزاوية تعتقد وبشدة ببركة الولي، كما تؤمن بأن هذا النوع من العلاج سيكون أكثر نجاعة من الطب الحديث، وبالتالي نجد وراء القيام بالطقوس تمثلات ومعتقدات مترسخة في المخيال الاجتماعي الثقافي لمجتمع ما هي التي تبقي الطقس قائما و مستمرا عبر الحقب الزمنية، والمعتقد هو الآخر مرتبط بقصة أسطورية كقصص الأنبياء والأولياء وكراماتهم...الخ، فالمعتقد إذن يستمد قوته من أسطورة تداولتها الاجيال عبر التنشئة الاجتماعية، فهي منغرسة في مخيالنا الاجتماعي والثقافي، كما أن الإنسان الحديث يحتاج إلى الاعتقاد بأمور معينة لتخفيف ضغط الأزمة ومستوى القلق، خاصة لما يتعلق الأمر بالأمراض والأمور التي تهدد مكانة الإنسان الاجتماعية، إذ تصبح النفس البشرية قابلة للإيحاء فيكفي أن يدلي أحدهم بأنه قام بأمر معين لغرض الإنجاب مثلا أو لعلاج مولوده ليحفز الآخر لتبني نفس المعتقد فالغاية تبرر الوسيلة. لعله لا يسعنا في الأخير إلا أن نحث على الاهتمام أكثر بالمعتقدات الشعبية وتدوينها حتى ولو كانت معتقدات بسيطة حتى يكون للأجيال القادمة معالمة معينة عن ثقافتنا عبر الحقب، فالحداثة وإن كان تأثيرها على المعتقد خفيفا إلا أنه يمكن أن يمحي مع الوقت عناصر ثقافية معينة، كما أنه من الأفضل أن لا ننظر إلى المعتقدات الشعبية نظرة سلبية ونحكم عليها خطأ، فالمعتقد يؤدي وظائف نفسية واجتماعية وجدت لتحقيق توازن معين لا ندركه.

**قائمة المصادر والمراجع:**

**1-** زينب المعادي، "الجسد الانثوي وحلم التنمية، إنها امرأة تذوب، قراءة في التعبيرات عن الجسد الأنثوي في منطقة الشاوية"، نشر الفنك، 2004، ص 214.

**2-** مرسيا الياد، ترجمة عبد الهادي عباس، المقدس والمدنس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق، 1988، ص 73-74.

**3-** جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا: رموزها، أساطيرها، أنساقها، ترجمة مصباح الصمد، مجد. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 2006، ص 337-338.

**4-** مرسيا الياد، مرجع سابق، ص 107.

**5-** مرسيا الياد، مرجع سابق، ص 123.

**6-** معجم العلوم الاجتماعية، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين، مراجعة إبراهيم بيومي مدكور، الهيئة العامة للكتاب، 1970، ص 48.

**7-** سامية حسن الساعاتي، علم اجتماع المرأة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، الطبعة الأولى، ص 219.

**8-** محمد الجوهري، علم الفولكلور، دراسة المعتقدات الشعبية، دار المعارف، 1980، بدون طبعة، ص 28.

**9-** سامية حسن الساعاتي، نفس المرجع، ص 221.

**10-** أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء 4، ص 98.

**11-** سامية حسن الساعاتي، مرجع سابق، ص 223.

**12-** علياء شكري(1987)، عادات دورة الحياة عند بلاكمان في كتاب فلاحو الصعيد، مجلة الفنون الشعبية، عدد 19، ص 40-45.

**13-** حافظ الأسود، "الأنثروبولوجيا الرمزية– دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة والتأويل– "، دار منشأة المعارف، الاسكندرية، 2000، ص 25.